﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: 79]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لـلـنُّـبـوَّةِ خـصـائـصُ في التَّكليف توازي خصائصَها في التَّشريفِ

لمّا أمر تعالى بالصَّلوات الخمسِ على سبيل الرَّمز والإشارةِ؛ أردفَه بالحثِّ على صلاة اللَّيل[1]، ولمّا ذكرَ في الآية السّابقة التَّكليفَ بالصَّلوات المكتوبةِ، وكان ذلك عامًّا للنَّبيِّ ﷺ وأمَّته؛ زاد هنا في الآية تكليفًا خاصًّا به ﷺ لا تُشاركه فيه أمَّتُه في الإلزام به، كما لم تُشاركْه في خصائص النُّبوَّة ومَقامِها[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَتَهَجَّدْ﴾: (هجد) أصلٌ يدلّ على رُكودٍ في مكان، والهُجود هو النَّوْمُ باللَّيل، يُقالُ: هَجَدَ الرَّجُلُ يَهْجُدُ هُجودًا، فهو هاجِدٌ، أَيْ: نامَ لَيْلًا[3]، والتَّهجُّدُ: الاستيقاظُ بَعْدَ النَّوْم، يُقالُ: تهَجَّدَ وهَجَدَ، أي: اسْتَيْقَظَ بَعْدَ نَوْمِه، وهَجَّدْتُهُ؛ إذا أَيْقَظْتَهُ، والتَّهْجيدُ: التَّنْويمُ، ويُطْلَقُ التَّهَجُّدُ أَيْضًا بِمَعْنَى: السَّهَرِ وتَرْكِ النَّوْم، وسُمّيَت الصَّلاةُ لَيْلًا تَهَجُّدًا؛ لأَنَّهُ أَلْقَى الهُجودَ، أي: النَّوْمَ[4]، والمرادُ بالتَّهَجُّدِ في الآية: الصَّلاةُ في أَثْناءِ اللَّيْلِ.

2) ﴿نَافِلَةً﴾: (نفل) أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على عَطاءٍ وإِعْطاءٍ، مِنْهُ النّافِلَةُ: عَطيَّةُ الطَّوْعِ مِنْ حَيْثُ لا تَجِبُ، ومِنْهُ نافِلَةُ الصَّلاةِ، والنَّوْفَلُ:

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 386.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 99.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هجد).
(4) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللّغة، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (هجد).

الرَّجُلُ الكَثيرُ العَطاءِ[1]، والتَّنفُّل (تفعُّلٌ): الزِّيادَةُ، أي: ما كان زيادَةً على الأَصل، سُمّيت بذلك؛ لأنَّها زائِدَةٌ على الفَرائِض، أو لأنَّها زيادَةٌ في الأَجْرِ لَهُم، يُقال: تَنَفَّلْتُ، أيْ: فَعَلْتُ فِعْلًا زيادَةً على الواجِبِ[2]، وحقيقةُ النّافِلَةِ في الآية: الزِّيادَةُ مِنَ الأمرِ المَحْبوبِ.

3) ﴿مَقَامًا﴾: أصلُ (قوم) يدلُّ على انْتِصابٍ أَوْ عَزْم، يُقالُ: قامَ يَقومُ قَوْمًا وقيامًا، أي: وقَفَ وانْتَصَبَ، والقَومَةُ المَرَّةُ الواحِدَةُ؛ إذا انْتَصَبَ[3]، والإقامَةُ: الثَّباتُ والاسْتِقْرارُ[4]، والمَقامُ: موضع القَدَمَيْنِ، والمُقامُ والمُقامةُ: الموضعُ الَّذي تقيمُ فيه[5]، والمَقامُ المَحْمودُ: الشَّفاعَةُ العُظْمَى[6]، والمَقامَة، بالفَتْحِ: المَجْلِسُ والجَماعَةُ مِنَ النّاسِ، والمقصودُ بالمَقام في الآية: مَحَلُّ القيام، والمُرادُ بِهِ: المَكانُ المَعْدودُ لِأَمرٍ عَظيم؛ لِأَنَّهُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَقومَ النّاسُ فيهِ، ولا يَجْلِسوا، وإِلّا فَهو المَجْلِسُ[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقولُ الحقُّ سُبحانَهُ: ومِن بَعضِ اللَّيلِ قُم يا مُحَمَّدُ ﷺ مِن نَومِك، فصَلِّ بالقُرآنِ زيادةً لك، مخصوصةً بك دون الأمَّة، وهي فريضةٌ عليك خاصَّةً، دونَ غيرك، وأمّا أُمَّتك؛ فهي لهم مندوبةٌ أو تطوُّعٌ لهم، وهذا أوَّل أمرٍ له ﷺ بقيام اللَّيل زيادةً على الصَّلوات المفروضة، افعَلْ هذا الَّذي أمَرْتُك به أيُّها النَّبيُّ ﷺ، فيَبعَثَك ربُّك يومَ القيامةِ شَفيعًا في أهلِ المَوقِفِ، فيَحمَدَك الأوَّلونَ والآخِرونَ[8].

قيامُ اللَّيل يُطهِّرُ القَلْبَ، وتَسْمو به النَّفْسُ إلى مراقي الفلاحِ

(1) بن فارس، مقاييس اللّغة: (نفل).
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (نفل).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قوم).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (قوم).
(5) الخليل، العين: (قوم).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (حمد).
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 185.
(8) ابن جرير، جامع البيان: 15/ 43، 47، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 309، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 103.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الوصلِ بالواو:

جملةُ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾ معطوفةٌ عطْفَ جُمَلٍ على جملة: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، أو جملة: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾، بنصبِها على الإغراء، أي: الزم بعضَ اللَّيل، أو ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾ متعلِّقٌ بفعل محذوف تقديره: واسهر مِنَ اللَّيل، أو قُم مِنَ اللَّيل[1].

أراد الله لعبادِه ألّا يَخلو وقتٌ لهم عن عبادتِه وذِكْرِه

معنى (مِنْ):

(مِنْ) في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾ إمّا تبعيضيَّةٌ، أي: بعضًا مِنَ اللَّيل؛ للإشارَة إلَى عدم اسْتغْراق اللَّيل للعبادة، فإنَّه ليس بممدوح[2]، وإمّا بمعنى (في)[3]، أي: اسهرْ في اللَّيل، أو قُم في اللَّيل، ويصحُّ حملُها هنا على الظَّرفيَّة، أي: بعضَ اللَّيل، أوِ الاسميَّة، بمعنى (بعض) كالتي في قوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ [النساء: 46][4].

من أراد الحظَّ الوافرَ فلْيأخُذْ مِنَ اللَّيل حظَّه

سِرُّ تَكرارِ لفظ ﴿ٱلَّيۡلِ﴾:

﴿ٱلَّيۡلِ﴾ في قوله: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾، في سياقِ فرضيَّةِ الصَّلواتِ الخمس، و﴿ٱلَّيۡلِ﴾ في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ في سياق تكليفِ النَّبي ﷺ خاصَّةً بقيام اللَّيل نفْلًا، فتَكرارُ لفظِ: ﴿ٱلَّيۡلِ﴾ لانفكاك الجهة، وتغايُرِ المحلِّ.

انفكاكُ الجِهة وتبايُنُ السّياقِ من مُسوِّغاتِ التَّكرارِ

نكتةُ تقديمِ شبْهِ الجملة:

قدَّمَ الجارَّ والمجرورَ ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾؛ عنايةً به وحثًّا عليه، قال ابنُ عاشور: "وقدَّمَ المجرورَ المتعلِّقَ بـ ﴿فَتَهَجَّدۡ﴾ على متعلَّقِه اهتمامًا به وتحريضًا عليه"[5].

تهجُّدُ اللَّيل مرغوبٌ مطلوبٌ

(1) صافي، الجدول: 15/ 97.
(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 570.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 189.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 132، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 184.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 184.

معنَى الفاء:

كأنَّ التَّهجُّدَ عِلَّةٌ وجـزاءٌ ينفعلُ بهـما العـبـدُ لدخولِ اللَّيلِ

الفاءُ في جملة: ﴿فَتَهَجَّدْ﴾ فاءُ الجزاء، لاكتساب متعلَّقِه المتقدِّم مِنَ الجارِّ والمجرور ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾ معنَى الشَّرطِ والجزاءِ، فوقع الفعلُ المتعلِّقُ به موقعَ الجزاء عليه، ولذا وُصِل بالفاء، وهذا مُستعملٌ في الظُّروف والمجروراتِ المُتقدِّمةِ على متعلَّقاتِها، وهو استعمالٌ فصيحٌ، ونظيرٌ له قولُه تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ [المطففين: 26][1].

دلالةُ الأمرِ المُضعَّفِ ﴿فَتَهَجَّدْ﴾:

من تكلَّفَ لأجلِ اللـه تـعـالى؛ تكفَّلَ الله به

صيغةُ (تفعَّل) في قوله: ﴿فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾ تدلُّ على الإزالةِ والتَّرك، كالتَّحرُّجِ والتَّحنُّث والتَّأثُّم ونظائرِها، أي: أزِلْ وألْقِ الهُجودَ - أي: النَّومَ - عنك[2]، مع دلالة هذه الصّيغة أيضًا على التَّكلُّفِ والتَّدرُّج الذي يستصحبُ النُّهوضَ مِنَ النَّوم عادةً، والصَّيرورة بالانتقال من طورٍ إلى طور، مِنَ النَّوم إلى اليقظة[3].

أسلوبُ الاستخدامِ في عوْدِ الضَّمير ﴿بِهِۦ﴾:

خيرُ الأوقـاتِ ما عُمِّرَ بالقرآنِ

الضَّميرُ في قوله: ﴿فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾ عائدٌ على القرآن المذكور في قوله: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ إلّا أنَّ المقصودَ بالضَّمير مطلقُ القرآن، وليس المرادُ القرآنَ بمعناه على التَّقييد السّابق في التَّركيب؛ لأنَّ المرادَ بالقرآن في: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾، أي: الصَّلاةُ المضافةُ لوقت الفجر، فهو على غير معناه المرادِ في الضَّمير العائدِ عليه، وهذا أسلوبٌ بديعٌ يُسمّى الاستخدامَ؛ لأنَّ مرجعَ الضَّمير صار كالتّابع والخادمِ في الدَّلالة على معنًى في الضَّمير يغايرُ المعنى المرادَ في مَرجِعِه[4].

معنى (الباء) في ﴿بِهِۦ﴾:

بسببِ القرآن كـانَ القـيـامُ للتَّهجُّد

الباء في قوله: ﴿فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾ للآلة، أي: فتهجَّدْ بالقرآن، فهو

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 184.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 189.
(3) سيبويه، الكتاب: 2/ 71: 4/ 73، وابن مالك، شرح التّسهيل: 3/ 452.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 493، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 184.

وسيلتُك في هذا التهجُّد، ويمكن أن تكونَ للسَّببيَّة[1]، أي: تهجَّد بسببه، ومعنى السَّببيَّة: جَعْلُ القرآنِ هو الأساسُ، والسَّببُ الذي يحصل به التَّهجُّد، وفي معنى السببيَّة: تعظيمٌ لشأن القرآن، كأنَّه لولا القرآنُ ما كان التَّهجُّدُ، فبسببِ القرآن كان قيامُك للتَّهجُّد.

إيثارُ لفظِ ﴿نَافِلَةَ﴾ دون (تَهجُّدًا):

التَّهجُّدُ نفلٌ يزيدُ على الفرض، فيزيدُ فيها التَّكلُّف في إقامتِها

لم يقل في السّياق الكريم: (فتهجَّد به تهجُّدًا لك)، فوضعَ ﴿نَافِلَةَ﴾ موضعَ (تهجُّدًا)؛ لأنَّ التَّهجُّد عبادةٌ زائدةٌ، فكان التَّهجُّدُ والنّافلةُ يجمعُهما معنًى واحدٌ، ولا يخفى أنَّ إيرادَ التَّهجُّد بوصفِه ﴿نَافِلَةَ﴾ دون تأكيده بلفظِه (فتهجَّد تهجُّدًا) أبلغُ في زيادةِ المعنى، وهو أنَّ التَّهجُّدَ زيادةٌ لك على الصَّلوات المفروضةِ[2].

نكتةُ تنكيرِ ﴿نَافِلَةَ﴾:

من زاد لله حسنةً؛ زادَه الله إحسانًا

تنكيرُ ﴿نَافِلَةَ﴾ للتَّعظيم والتَّنويه بالشَّأن، أي: نافلةً زائدةَ القدرِ والمقدار في نفسها، وتزيدُك أجرًا، وترفعُك قدرًا.

معنى اللّام في قوله تعالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾:

في الإلزاماتِ فضائلُ وإكراماتٌ

اللّام في قوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ للتَّعليل والتَّخصيص، أي: زيادةً وفضيلةً مختصَّةً بك، ولذا فهي تجبُ عليك؛ لأنَّ في التَّخصيص أمارةَ إلزامٍ وإيجاب، مع دلالته على مقام الإحسانِ[3].

نكتةُ التَّعبيرِ بالفعلِ ﴿عَسَىٰٓ﴾:

خيرُ الوعودِ ما جاء بصيغةِ التَّشويقِ والتَّأميلِ

﴿عَسَىٰٓ﴾ فعلٌ ماضٍ جامدٌ ناقصٌ، وهو من أفعال المُقاربةِ في الرَّجاء التي تدلُّ على الإطماع منَ الله والرَّجاء منَ العبد في قُرب حصول الشَّيء، ولذا لم يقل: لعلَّ الله أنْ يبعثك؛ للدَّلالة على معنى القُربِ لِما يؤمَّلُ من إنعام ربِّه، ويصحُّ في ﴿عَسَىٰٓ﴾ في هذه الآية أن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 184.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 687.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/ 264.

تكون تامَّةً غيرَ ناقصة، وهو حسَن، ويكونَ المصدرُ المؤوَّل مفعولًا لها مقدَّمًا، و﴿رَبُّكَ﴾ فاعلَها مؤخَّرًا[1]، وجاءت هذه الجملة ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ على معنى التَّعليل والتَّهوين لمشقَّة قيام اللَّيل في التَّكليف السّابق به[2]، والتَّعليلُ لتَخصيصِه ﷺ بإيجابِ التَّهجُّدِ عليه، والرَّجاءُ من اللهِ تعالى وعدٌ[3].

النَّبيُّ ﷺ مبعوثُ الخير في الدُّنيا والآخرة

إيثارُ لفظِ (البعث) دون غيرِه:

عبَّر بلفظ البعث في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ﴾ استحضارًا للنَّقْلَةِ الواسعةِ والتَّرقّي العظيم في الفضل، فكأنَّ بلوغَ المقام المحمودِ بعْثٌ جديد، فلا يُقارنُ بما قبله من أحوالٍ مهما كانت شريفةً، فلِبُعدِه في المنزلة كان بمنزلة الإحياء والابتعاث، فيكونُ التَّعبيرُ بالبعث تنويهًا بشرف المقام المحمودِ، كما يُطلَقُ على الإرساليّات الكبيرةِ ذاتِ الخصوصيَّة صفةَ البعث، فيقال: (بَعثات)، أو عبَّر بالبعث؛ لأنَّ المقام المحمودَ إنقاذٌ وبعْثٌ؛ لِما يكون فيه منَ الشَّفاعة التي تبعثُ وتنقِذُ، فيبلغُ به النَّبيُّ ﷺ مقامَ المبعوث، فهو مبعوثٌ ليبعثَ غيره وينقِذه، أو عبَّر بذلك لكون المقام المحمود بعد موت النَّبيِّ ﷺ، فهو مقارنٌ ليوم البعث في اليوم الآخر، فأشار به إلى هذه المقارنة، وهو مبالغةٌ أيضًا في تعظيم هذه الدَّرجة؛ لأنَّ النَّبيَّ يجتمعُ عليه بعثان: بعثٌ الذي هو منَ الموت، وبعثٌ للمقام المحمود الذي لا يبلغه أحدٌ سواه، وفي التَّعبير بالبعث - حينئذٍ - تعليلٌ وتهوينٌ لمشقَّة التَّكليف بالتَّهجُّد، وفيه إشارةٌ إلى مقابلةٍ بديعةٍ بين البعث الأصغرِ بالانتباه منَ النَّوم لصلاة اللَّيل، والبعثِ الأكبرِ بالإحياء منَ الموت يومَ القيامة لبلوغ المقام المحمود، ويكأنَّه يقول له: إنَّ معالجة المشقَّةِ بقيام اللَّيل ومفارقةِ النَّوم تهونُ في سبيل

(1) ابن هشام، مغني اللّبيب: 6/ 129: 2/ 429.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 134.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 185.

ذلك البعثِ العظيم للمقام المحمودِ، وفي التَّعبير باللَّفظ إلماحٌ إلى أنَّ الجزاءَ من جنس العمل[1].

دلالةُ صياغةِ لفظِ البعث مضارعًا:

ما ثبتَ استحقاقُه ضُمِنَ وقوعُه

التَّعبيرُ بالمضارع في قوله: ﴿يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ﴾ للدَّلالة على ما سيكون، فهو للاستقبال، ويصحُّ أنْ يكون للحال باعتبار أنَّ ﴿عَسَىٰٓ﴾ من الله سبحانه مضمونةُ التَّحقُّق والوقوع، فالبعثُ للمقام المحمود حاصلٌ في الحال، ولا يُقال: إنَّه لن يتلبَّسَ به إلّا يومَ القيامة، فيتمحَّضَ المضارعُ للاستقبال؛ لأنَّ المرادَ استحقاقُ النَّبيِّ لهذا المقام، ولو من قبْلِ ملابسته له؛ لأنَّ جملةَ الإطماع بالجزاء: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ﴾ مُقارنةٌ لتهجُّده ﷺ ووفائِه بالتَّكليف، وهذا حاصلٌ في الحال، فهو مجزيٌّ بالمقام المحمود في الحال كذلك، أي: باستحقاقِه له، والجزاءُ بالاستحقاق كالجزاء بالملابسة والوقوع، لتحقُّقِ الضَّمان في كلٍّ، ولا يخفى وجْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان متحقِّقًا بالأمر بالتَّهجُّد في الحال والاستقبال؛ لأنَّه كان يقومُ اللَّيلَ من قبلِ نزول هذه الآية، بدليل قوله: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾ [المزمل: 2]، وهو سابقٌ في النُّزول.

إيثارُ لفظِ الرُّبوبيَّة:

النَّبيُّ ﷺ أوسعُ الخلْقِ حظًّا من إنعامِ ربِّه

إسنادُ البعث إلى لفظ الرُّبوبيَّة في قوله: ﴿يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ﴾ بديعُ المناسبة مع فعل الإطماع والتَّرجية ﴿عَسَىٰٓ﴾؛ إذْ في الإطماع فضلٌ وإحسان، فيناسبُه التَّعبيرُ بالرَّبِّ، وفيه توسعةُ الإحسان على النَّبيِّ ﷺ، وفي توسعة الإحسان إشارةٌ إلى تحقُّق المقام المحمودِ له، كأنَّه قيل: ﴿رَبُّكَ﴾، أي: (المحسِنُ إليك بعد الموت الأكبر وقبلَه، كما بَعثَ نفسَك مِنَ الموت الأصغر إلى خدمتِه بالعبادة والصَّلاة)[2].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 190.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 494.

سرُّ إضافةِ لفظ (الرّب) إلى ضميرِ الخطاب:

مـقـامُ الـنُّـبـوَّة يطَّردُ بالفتوحات العظيمةِ التي لا تنفدُ

في إضافة لفظ الرَّبِّ إلى كاف الخطاب في قوله: ﴿يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ جريٌ على نسقِ الخطاب بالأمر في الآية، فكذلك لا بدَّ أن يُسندَ الجزاءُ عليه لكاف الخطاب، مع ما في إسناد الرُّبوبيَّة لكاف الخطاب في سياق التَّرجية بالجزاء منَ التَّطمين والإيناس وزيادةِ التَّكريم.

نكتةُ تنكيرِ ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾:

الـنَّـبـيُّ ﷺ لا ينفكُّ عن مقامِ الحمدِ أبدًا

التَّنكيرُ في قوله تعالى: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ "يدلُّ على أنَّه يحصلُ للنَّبيِّ ﷺ في ذلك المقام حمدٌ بالغٌ، عظيمٌ كاملٌ"[1]، ومعنى التَّعظيم، أي: مقامًا عظيمًا يفوقُ كلَّ مقام، أو لإرادة العموم، فلا يختصُّ بمقام معيَّن؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ ذو المقام المحمود في كلِّ أمرٍ وشأن، فيتناولُ كلَّ مقامٍ محمودٍ صدقَ عليه إطلاقُ اللَّفظ[2].

دلالةُ لفظِ ﴿مَقَامًا﴾ على هذه الصّيغةِ:

لا يُـنْـزِلُ الله نبيَّه في مقامٍ إلّا ويحمدُه به ويحمدُه فيه

كلمة ﴿مَقَامًا﴾ من قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ مصدرٌ ميميٌّ أو مكانُ القيام، فيحتمل المصدرَ واسمَ المكان، والمصدرُ الميميُّ يدلُّ على الحدث، وعلى التباسه بذاتِ القائم، وهو النَّبيُّ ﷺ، والمقيمُ له وهو الله سبحانه، ويدلُّ على منتهى الجزاءِ وتمامِه، مثل: المتابِ والتَّوبة، فالمتابُ توبةٌ تامَّة، فالمصدر الميميُّ دالٌّ على الذّاتِ غالبًا، وعلى منتهى الحدَث[3]، والمعنى على الاحتمالين؛ أي: يقيمك مقامًا، أو يبعثُك في مقام أو ذا مقام، وهو مقامُه ﷺ في الشَّفاعة العظمى العامَّةِ أو شفاعتِه لمُذنبي أمَّتِه لإخراجهم منَ النّار، أو كلُّ مقام يُحمَد[4].

---

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 387.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 101.

(3) فاضل السّامرائي، معاني الأبنية، ص: 32.

(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 101، وصافي، الجدول: 15/ 99، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قوم).

إيثارُ لفظِ المقام دون المقعد:

المـقـامُ مـوضـعُ القيام والمقعدُ مكانُ القعود

لم يقل في السّياق الكريم: (مقعدًا محمودًا) لِبُعدِ ما بين اللَّفظَين في المعنى، فالمقامُ موضعُ القيام، وهو أدلُّ على التَّكريم؛ لأنَّه انتصابٌ في موضع الشِّدَّةِ والهولِ يومَ القيامة للشَّفاعة، والشَّفاعةُ دفْعٌ لهذه الشِّدَّة وإزالةٌ لها، والانتصابُ لإزالة الهَوْلِ، والقيامُ له لا يكون إلّا من متصدِّرٍ ذي كرامةٍ وجاه، فالتَّعبيرُ بالمقام لاقتضاء المناسبة مع الموقفِ الشَّديد؛ لأنَّ ذلك ممّا يُقام لأجله، ولدلالتِه على التَّكريم العظيم، وأمّا المقعدُ؛ فَهو موضعُ القعود، وهذا غيرُ مناسبٍ وغيرُ مُراد[1].

بلاغةُ الوصْفِ بالمحمود:

تُحمَدُ المقاماتُ بـــوُرودِ الـنَّـبـيِّ عليها

قوله: ﴿مَّحْمُودًا﴾ إمّا وصفٌ للرَّسول ﷺ، فهو حالٌ من كاف ﴿يَبْعَثَكَ﴾ أي: يبعثك مقامًا حالَ كونِك محمودًا، وإمّا وصفٌ للمقام؛ لأنَّه مقامُ تخليصٍ من شدَّةٍ، فلا يختلفُ على حمدِه أحدٌ[2]، وإسنادُ الحمد للمقام مجازٌ عقليٌّ؛ لأنَّ المحمودَ هو القائمُ في المقام على الحقيقة، أي: يُحمَدُ هو، ويُحمَدُ أثرُه فيه، ولذلك فُسِّر المقامُ المحمود بالشَّفاعة العظمى الَّتي تكون سببًا في زوال الشِّدَّةِ والعذابِ[3].

دلالةُ مجيءِ الفاصلةِ على صيغة اسمِ المفعول:

خـيـرُ الأوصـــافِ الحمدُ

قوله: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ جاء الوصْفُ فيه على صيغة اسمِ المفعول؛ للدَّلالةِ على ثبوت الصِّفة واستمرارِها وكثرةِ أفرادها، أي: محمودًا حمدًا كثيرًا دائمًا لا ينقطعُ، ولم يعبِّر بالفعليَّة؛ لأنَّ الوصفَ بالاسميَّة أمكنُ وأتمُّ، وفي الوصف بصيغة المفعولِ إشارةٌ إلى ثبوت الاستحقاقِ بالوصفِ، وإنْ لم يحمدْه السّامعون، مع تحضيض الغافلين عن

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 388.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 387.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 185.

حمدِه إلى حمدِه، أي: هو المقامُ الجديرُ بالحمد، فأوْلَى بكلِّ أحدٍ أن يحمَده، وألّا يغفلَ عن قدْرِه.

بلاغةُ تناسُبِ خواتيم الآي: ﴿قَلِيلًا﴾ - ﴿تَحْوِيلًا﴾، ﴿مَشْهُودًا﴾ - ﴿مَّحْمُودًا﴾:

تناسُبُ الفواصِلِ في ألفاظِها بحسبِ مقامِها الموحَّدِ الذي تنتمي إليه

من بلاغة الفواصلِ في هذا المقطع: مجيئُها على نمطَيْن أو مجموعتَيْن، المجموعةُ الأولى: قولُه: ﴿قَلِيلًا﴾ مع قوله: ﴿تَحْوِيلًا﴾، والفاصلتان واردتان في معنى واحد، وهما مِنَ الفواصل المتطرّفة، التي اتَّفقتْ في الحرف دون الوزن، فطَرَفُ الفاصلتين واحدٌ في المقطع (يْلا)، والمجموعة الثانية: قوله: ﴿مَشْهُودًا﴾ مع قوله: ﴿مَّحْمُودًا﴾ والفاصلتان واردتان في سياقٍ متَّفِقٍ معنًى، ومتَّفقٍ لفظًا ورسْمًا، فهما من نوع الفواصل المتوازيَةِ التي هي أكملُ الفواصل، لاتِّفاقها في الوزن والحرف.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»